مقدمة:

"الشعرية العربية" من المصطلحات التي تصيبنا بنوع من الدهشة كونه يعود للمدرسة الشكلانية فما السبب لإلحاق هذا الأخير بالعربية، وإن كان للمصطلح جذور في التراث العربي القديم فما هو المفهوم الذي عرف به؟ وما هو الإطار الذي تعامل به علماء العرب القدامى والمحدثين مع هذا المصطلح؟ هل الشعرية في النقد الغربي تختلف عن الشعرية العربية؟ هذه التساؤلات وغيرها هو ما تناولته مطبوعتنا الموسومة بـــ "الشعرية العربية" الموجهة لطلبة السنة الثانية نظام LMD، شعبة دراسات أدبية، السداسي الرابع معتمدين على ما جاء في البرنامج الوزاري المقرر "canvas"، وقد جاء على النحو الآتي:

|  |  |
| --- | --- |
| أعمال موجهة | |
| أولا: مفاهيم الشعرية العربية القديمة | الأدبية في النقد الأدبي حتى القرن الرابع الهجري |
| مفهوم الشعر |
| وظيفة الشعر |
| عمود الشعر |
| اللفظ والمعنى |
| نظرية النظم |
| شعرية النثر |
| ثانيا: الشعرية العربية الحديثة | مفهوم الشعر عند مدرسة الديوان |
| الشعرية عند: أ/ نازك الملائكة |
| ب/ أدونيس |
| ج/ صلاح عبد الصبور |
| د/ رمضان حمود |
| ه/جمال الدين بن الشيخ |
| شعرية السرد |

وهمنا من خلال هذا الطرح تحقيق الأهداف الآتية:

* الوقوف على مفهوم وماهية الشعرية عند القدماء
* معرفة أهم خصائص الشعر التي تناولها الخطاب النقدي القديم
* تحديد مصطلح الشعرية عند المحدثين
* إبراز جهود النقاد القدامة والمحدثين حول قضية الشعر
* التعريف بأهم المصنفات النقدية القديمة والحديثة التي تناولت مفهوم الشعرية كممارسة.

الحقيقة أنّ الشعرية أو البيوطيقا كمصطلح غربي هو حديث النشأة ظهر مع المدرسة الشكلانية والمقصود به هو دراسة الخطاب الأدبي والبحث عن قيمته الفنية والجمالية، وعن السمات التي تجعل منه خطابا متميزا عن الكلام العادي، هذا التعريف يشمل العمل الأدبي بشقيه (الشعر والنثر) وهو ما ذهب إليه **عبد المالك مرتاض** في قوله: أنّ الشعرية "تتصرف دلالتها المفهومية إلى كل الأجناس الأدبية، فتسلط عليها بالمعالجة الإجرائية"[[1]](#endnote-1)، وحسب هذا التعريف فإنّ مجال الشعرية يتسع ويشمل الأدب ويصبح بذلك مفهوم الشعرية مطابق لمفهوم الأدبية.

مفهوم الشعرية عند الناقد **تودوروف** يتفق ومفهوم الأدبية عند رومان **جاكبسون** فهي –أي الشعرية- "تتحد من حيث هي علم بالأدب...إذ أنّ المظاهر الأشد أدبية في الآداب والتي ينفرد لوحده بامتلاكها هي التي تكون موضوع الشعريّة"[[2]](#endnote-2).

ولا يختلف هذا المفهوم عمّا ذهب إليه الناقد **جان كوهن** حيث يعرفها: "إنّ الشعرية هي ما يجعل من نص ما نصا شعريا"[[3]](#endnote-3)، إلّا أنّ هناك من يحصر مفهوم الشعرية في الشعر دون النثر فيقصد بها دراسة علم الشعر وخصائصه الجمالية التي تميّزه عن باقي الأجناس الأدبية.

إنّ المتتبع لحركة نشأة مصطلح الشعريّة عند النقاد العرب؛ يجد أنّ **ابن سينا** من النقاد الأوائل الذين وظفوا هذا المصطلح في خطاباتهم وذلك من خلال وقوفه على ترجمة كتاب فن الشعر لأرسطو، حيث يرى أنّ الشعرية تولّدت من علتين اثنين هما التلذذ بالمحاكاة وحب الناس للأوزان، ومنه فعناصر الشعرية حسبه قائمة على هاتين الأمرين[[4]](#endnote-4).

قبل الخوض في تحديد عناصر الشعرية عند العرب القدامى وجب الوقوف على مصطلح الشعر عند النقاد كون مصطلح الشعرية مأخوذ من مادة (ش.ع.ر) وهو موضوع محاضرتنا الأولى.

المحاضرة الأولى: مفهوم الشعر

الشعر ديوان العرب، به عرفت حضارتهم ونسبهم وتاريخهم وثقافتهم كان سلاحا يدافعون به عن أنفسهم وقلما يمجدون به قبائلهم ومكارم أخلاقهم، كما كان للشاعر عندهم مكانة عالية فهو بمثابة الصحفي والمحامي، ولذلك كان العرب إذا ولد عندهم شاعر أتت القبائل وهنأتهم وصنعت الأطعمة، ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم...[[5]](#endnote-5)

**مفهوم الشعر:**

**لغة**: كلمة الشعر كما ورد في لسان العرب لابن منظور مشتقة من مادة ش.ع.ر ؛ يقول: شعر وشعُر ويشعُر شِعرا وشَعرا، وشِعرَه، علم. ليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت، أشعره الأمر وأشعُر به أي أعلمه إياه...[[6]](#endnote-6)

**اصطلاحا**:

تعدّدت مفاهيم كلمة الشعر عند النقاد والفلاسفة القدامى؛ حيث حاولوا أن يلموا بهذا المفهوم لأجل إعطاء تعريفا شاملا وملمّا بكل جوانبه حتى يميزوه عن غيره من الكلام، وفيما يلي نحاول الوقوف عند بعض التعاريف التي اقتربت من بعضها البعض في جوانب كثيرة واختلفت في أخرى.

ينظر **ابن سلام الجمحي** للشعر على أنّه صناعة فيقول:" للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما يثقفه العين ومنها ما يثقفه الأذن، ومنها ما يثقفه اليد، منها ما تثقفه اللسان"[[7]](#endnote-7). ويتفق مع هذا التعريف كل من ابن رشيق القيرواني وأبو هلال العسكري و**الجاحظ** أيضا حيث يقول "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنّ الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[[8]](#endnote-8)، ونقف عند هذا التعريف الذي أراد الجاحظ من خلاله تبيين أهمية الجانب اللفظي فالمعنى وحده في العمل الأدبي قاصر إذا لم يراعى الجانب الشكلي.

أمّا **ابن قتيبة** فيعرف الشعر على أنّه "معدن علم العرب، وسفر حكمتها، ومستودع أيامها والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجّة القاطعة عند الخصام، ومن لم يقم عنده على شرفه، وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه، شذت مساعيه، وان كانت مشهورة، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما، ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر، والمعنى اللطيف أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العدو، وغض عين الحسود..."[[9]](#endnote-9). وفي هذا التعريف نجد ابن قتيبة قد جعل الشعر مصدر العلم بثقافة العرب وتاريخهم وحكمتهم.

تختلف نظرة **قدامة بن جعفر** للشعر عمن سبقه من النقاد فقد ركز على أربعة عناصر تمثلت في "اللفظ، الوزن، القافية والمعنى"، فيقول في ذلك: "إنّه كلام موزون مقفى دال على معنى" شارحا هذا التعريف بقوله: فقولنا قول دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا موزن يفصله ممّا ليس موزون إذ من القول موزون وغير موزون، وقولنا مقفى فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا يدل على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى ممّا جرى على ذلك من غير دلالة على معنى[[10]](#endnote-10).

يتّخذ **ابن رشيق المسيلي** المسار ذاته الذي سار عليه قدامة بن جعفر في تحديد مفهوم الشعر مضيفا خاصية تسبق العناصر الأربعة، ألا وهي النية حيث يقول في مستهل كتابه العمدة "الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي: اللفظ والمعنى والوزن والقافية فهذا هو حدّ الشعر، لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنيّة"[[11]](#endnote-11).

**أهم المصادر المعتمدة**:

|  |  |
| --- | --- |
| **المؤَلَف** | **المؤَلِف** |
| طبقات فحول الشعراء | محمد بن سلام الجمحي |
| البيان والتبيين | الجاحظ |
| الشعر والشعراء | أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة |
| نقد الشعر | أبي الفرج قدامة بن جعفر |
| العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده | أبي الحسن بن رشيق القيرواني الآزدي |

**المحاضرة الثانية: وظيفة الشعر**

لم يكن الشعر العربي قديما قائما على العملية الإبداعية وحدها، ولا على الإلهام والشعور وحده، وإنّما كان مرتبطا بوظيفة يؤديها ذات صلة بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكذلك بالمقاييس المعرفية للعرب وتختلف وظيفة الشعر من شاعر لآخر كلّ حسب مرجعيته، وهذه الوظيفة هي التي تحدّد قيمة الشعر وأهميته، ومن أهم الوظائف الشعرية نذكر:

1. **وظيفة دفاعية**: كان العرب قديما يمنحون الشاعر مكانة عالية كونه حاميهم وناطقهم الرسمي فهو الذي "يحمي عرض بني قبيلته ويخلد بلاءهم ويشارك في المعارك راشقا العدو بسهام شعرية لها قوة خارقة للعادة"[[12]](#endnote-12)، إذ كان يعبر عن قضايا مجتمعه ويدافع عنهم بلسانه، ويمجد مآثرهم ويرفع من مكانتهم بين القبائل الأخرى.
2. **وظيفة معرفية:** من أهم وظائف الشعر حفظ المعارف والعلوم حيث كان بمثابة سجل يدون فيه الشاعر أخبار قبيلته ليحفظها من الزوال وينقلها إلى الأجيال اللاحقة، بل كان ذاكرة العرب يحفظ قانةنها ويعبّر عنها وهذا ما تحدث عنه **ابن** **قتيبة** فيقول: "وللعرب الشعر الذي أقامه الله تعالى مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حافظا ولأنسابها مقيدا، ولأخبارها ديوانا لا يرث على الدهر ولا يبيد على مرّ الزمان"[[13]](#endnote-13).
3. **وظيفة أخلاقية:** وذلك بذكر الصفات والأخلاق الحميدة التي تميز كل قبيلة عن الأخرى والتي يتميز بها العرب دون سائر الأقوام كالكرم والجود، الشجاعة، حفظ الأمانة، الحلم...والدافع من وراء هذا المدح هو الحفاظ على مقومات الأصالة العربية وتمجيد محامدهم والدعوة إلى التحلي بهذه الخصال لمن لا يتحلى بها وهذا ما ذكره **ابن طباطبا** في قوله " فإذا ورد عليك الشعر اللطيف المعنى الحلو اللفظ، التام البيان المعتدل الوزن مازج الروح ولاءم الفهم، وكان أنفذ من نفث السحر...وأشد إطرابا من الغناء فسل السخائم وحلّل العقد، وسخي الشحيح وشجع الجبان"[[14]](#endnote-14).

**المحاضرة الثالثة: عمود الشعر**

قضية عمود الشعر من أهم القضايا التي نالت اهتمام النقاد القدامى، حيث كانت من أهم الأسس الفنية التي وجب احترامها من قبل الشاعر ووجب توفرها في الشعر، هذه الأسس تعدّ المعيار الذي به تتحدّد شاعرية الشاعر (قدرته على النظم وفق النموذج المتعارف عليه عند العرب).

**مفهوم عمود الشعر:**

هو الطريقة التقليدية التي نظم العرب بها الشعر، حيث سنّوا قواعد وجب التقيد بها من طرف الشاعر ومن خلال احترامها يتم الحكم على شاعريته، هذه القضية خاصة بالشعر القديم وحده لا ما استحدثه المتأخرون.

ظهرت هذه القضية بداية مع الآمدي في كتابه "الموازنة بين الطائيين" حينما قارن بين شعر البحتري وأبي تمام وحكم على شعرية البحتري فيما يخص قضية عمود الشعر ويقول في ذلك: "...لأن البحتري أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف"[[15]](#endnote-15)، ومن هنا يذهب أهل العلم على أنّه أول من استعمل هذا المصطلح، لكن الآمدي نفسه وظف هذا المصطلح على لسان البحتري حين سئل عن شعر أبي تمام وشعره فقال: "كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم على عمود الشعر منه"[[16]](#endnote-16).

إذا كان الآمدي أول من تحدث عن عمود الشعر كموضوع نقدي واضعا تسمية لهذه القضية؛ فإن ركائز ومقومات هذه القضية تعود إلى العصر الجاهلي -بداية ظهور الشعر-أين كان الشعر يبني قصيدته وفق نظام فكري فيستهلها بالوقوف على الأطلال ثم مناجاة الحبيبة، الوصف الرحلة، موضوع القصيدة بتوظيف أحد الأغراض، إلى جانب توحيده للنسق الموسيقي والذي حدّده الفراهيدي واضع علم العروض بخمسة عشر بحرا مضيفا بعده تلميذه الأخفش بحرا آخر.

**عناصر عمود الشعر:**

يعدّ المرزوقي من النقاد البارزين الذين كان لهم دور كبير في اكتمال نظرية عمود الشعر مستعينا بالدراسات السابقة وذلك بوضعه لعناصر عمود الشعر والمتمثلة في الآتي:

- الإصابة في الوصف

- شرف المعنى وصحته

- جزالة اللفظ

- مشاكلة اللفظ للمعنى

- المقاربة في التشبيه

- التحام أجزاء النظم والتئامها

هذه الخصائص والمعايير التي خصّ بها الشعر العربي القديم هي مقياس به يحدّد الشعر الجيد من غيره، غير أنّها تبقى اجتهاد خاضع لمسار زماني محدد، وهو ما يجعله قابل للتغير والتجدد.

1. عبد المالك مرتاض: قضايا الشعريات، منشورات دار القدس العربي، الجزائر، ط1، 2009، ص18. [↑](#endnote-ref-1)
2. تودوروف: الشعرية، تر: شكري المخبوت ورجاء بن سلامة، ص84. [↑](#endnote-ref-2)
3. جان كوهن: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الوالي ومحمد العمري، دار تبقال للنشر، ص 23. [↑](#endnote-ref-3)
4. ينظر: عبد الكريم لطفي، شميسة بن مداح: محاضرات في مقياس الشعرية العربية، جامعة تلمسان، ص 14. [↑](#endnote-ref-4)
5. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تحقيق محمد الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط؟، 2009، ص 23. [↑](#endnote-ref-5)
6. ابن منظور: لسان العرب، مادة (ش.ع. ر)، ج3، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط؟، 1981، ص 324. [↑](#endnote-ref-6)
7. ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص102. [↑](#endnote-ref-7)
8. مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ص 159-160. [↑](#endnote-ref-8)
9. ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تح: سيد صقر، البابي الحلبي، القاهرة، 1954، ص 184-185. [↑](#endnote-ref-9)
10. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط؟، ت؟، ص64. [↑](#endnote-ref-10)
11. ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 127. [↑](#endnote-ref-11)
12. حنا الفاخوري: تاريخ الآداب العربية، دار اليوسف للطباعة، بيروت، ص87. [↑](#endnote-ref-12)
13. عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال: نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، دار الفكر العربي، ص 123. [↑](#endnote-ref-13)
14. ابن طباطبا: عيار الشعر، ص22. [↑](#endnote-ref-14)
15. الآمدي: الموازنة بين الطائيين، تح: السيد صقر، دار المعارف، ذخائر العرب، ج1، 1965، ص 4. [↑](#endnote-ref-15)
16. المصدر نفسه، ص12. [↑](#endnote-ref-16)